



A Glossary of Poetic Terms in the Book "Nafadat al-Jirāb fī 'Alālat al-Ightirab" (An Artistic Study)

¹Researcher: Hamid Fadhil Abdul-Razzaq / College of Arts / University of Wasit

²Prof. Dr. Muhammad Taqi Jun / College of Arts / University of Wasit

Received. Mar. 15, 2026

Revised Apr. 23, 2026

Accepted Apr.27, 2026

Online October1, 2026

ABSTRACT

This research seeks to explain the basic structure of the poetic lexicon in the book "Nafadat al-Jirāb fī 'Alālat al-Ightirab" by Lisan al-Din Ibn al-Khatib. Language in the poetic text is not merely a means of communication, but rather a tool of aesthetic formation in which lexical meaning intertwines with contextual connotations. To produce a unique poetic discourse bearing its author's imprint, the research revealed that the analysis of the poetic lexicon showed the richness of the semantic fields adopted by the poet. The lexicon of satirical words was sharp-toned, charged with sarcasm and biting criticism, to express a rejectionist stance towards his adversaries or social or political phenomena he observed during his exile and alienation from his homeland. He used words of extreme contempt and mockery, describing them as animals at times and other things at other times. Meanwhile, the lexicon of words of sadness was characterized by a sincere and clear emotional depth, expressing feelings of sorrow, loss, and alienation, which gave the text an impactful human dimension. As for the lexicon of words of praise, it carried connotations of glorification, generosity, and commendation, especially those he said in praise of the noble Messenger (Muhammad, may God bless him and his family and grant them peace), highlighting the values and principles that the poet values for those he praises, indicating the sincerity of feelings. The lexicon of words of love added emotional warmth to the text and varied between direct and symbolic expression. To reveal the tender human side of the poetic experience, noting that this aspect is very limited in the poems of the book, as it focuses primarily on social, political, and historical issues.

Keywords: Lisan al-Din Ibn al-Khatib, The Shaking of the Bag in the Illness of Alienation, Satire, Sorrow, Praise, Love.

معجم المصطلحات الشعرية في كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب (دراسة فنية)

¹الباحث: حميد فاضل عبد الرزاق/كلية الآداب/جامعة واسط.

²أ.د. محمد تقي جون/كلية الآداب/جامعة واسط.

Std2024210hfadeel@uowasit.edu.iq

٠٧٧١٩٣٢٢٩٨٧

الملخص



يسعى هذا البحث في بيان البنية الأساسية للمعجم الشعري في كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب للسان الدين بن الخطيب، فاللغة في النص الشعري ليست مجرد وسيلة للتواصل بل هي أداة تشكيل جمالي تتداخل فيها الدلالة المعجمية مع الإيحاءات السياقية؛ لتنتج خطاباً شعرياً منفرداً يحمل بصمة صاحبه، لذا جاء في البحث كشف تحليل المعجم الشعري عن ثراء الحقول الدلالية التي اعتمدها الشاعر، إذ جاء معجم ألفاظ الهجاء حاد النبرة، مشحوناً بالسخرية والنقد اللاذع، ليعبر عن موقف رافض من خصومه أو من ظواهر اجتماعية أو سياسية رصدتها أثناء نفيه وغربته عن موطنه، إذ استعمل ألفاظاً غاية في الاحتقار والاستهزاء ووصفهم بالحيوانات تارة وغيرها تارة أخرى، بينما اتسم معجم ألفاظ الحزن بعمق وجداني صادق وواضح، عبر عن مشاعر الأسى والفقد والاغتراب، مما أضفى على النص بُعداً إنسانياً مؤثراً، أما معجم ألفاظ المديح فقد حمل دلالات التعظيم والكرم والإشادة، خاصة تلك التي قالها في مدح الرسول الكريم (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) مُبرِّزاً القيم والمبادئ التي يثمنها الشاعر لممدوحه تدل على صدق المشاعر، وأضفى معجم ألفاظ الحب دفناً عاطفياً على النص وتتو عا بين التعبير المباشر والرمزي؛ ليكشف عن الجانب الإنساني الرقيق في التجربة الشعرية مع الإشارة إلى أن هذا الجانب من القصائد في الكتاب قليلة جداً، إذ اهتم الكتاب بالجوانب الاجتماعية والسياسية والتاريخية.

الكلمات المفتاحية: لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، الهجاء، الحزن، المديح، الحب.

المقدمة

باسم الله العلي الأعلى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الميامين من الأولين والآخرين، اللهم يا ذا المنّ ولا يُمنّ عليك منّ علينا بالقبول والبركة.

وبعد، يُعد كتاب لسان الدين بن الخطيب (نفاضة الجراب في علالة الاغتراب) من أهم كتبه الكثيرة، إذ هو بمنزلة وثيقة تاريخية وجغرافية وسياسية وأدبية مزج فيها عصارة علمه وجهده، فقد أفاد منه الباحثون في مجالات الجغرافيا والتاريخ والسياسة فضلاً عن الأدب المنثور والمنظوم، جاء الكتاب بفصوله وكما هو مبين في عنوانه لينفض ما في جرابه من علوم وأدب ليعبر عن معاناته وغربته ونفيه عن موطنه، فتجلت بذلك صوراً مكثفة وكثيرة تناولها موضوع البحث، واعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي.

ويمثل المعجم الشعري البنية الأساسية التي يقوم عليها النسيج اللغوي لأي نص أدبي، إذ يعد الخزانة اللفظية التي يستقي منها المبدع مفرداته ليصوغ بها عالمه الفني ويعبر عن رؤاه وتجربته الشعورية والفكرية، إذ بين ابن رشيق العلاقة بين اللفظ والمعنى كالجسد [الفيرواني، 1981م، 124/1]، وهذا ما كتب عليه أكثر الشعراء القدماء وما تؤديه النفس في تشكيل وتكثيف العبارات، وأصبحت المنهجية في الوقت الحاضر أكثر علمية واستعمال علم النفس في فهم بعض الشخصيات والحقائق، فتلاحم العلاقة بين الأدب والنفس والتي هي المصدر للإبداع والتعبير عنها وعن الإحساس المجرد إلى كلمات تبين هذه العلاقة [إسماعيل، دت، 5]، لذا تميز كل شاعر وأديب وكتّاب بفرادة لشخصيته ولمفرداته يعكس فيها أفكاره وشخصيته الخاصة. فاللغة في النص الشعري ليست مجرد وسيلة للتوصيل، بل هي أداة تشكيل جمالي تتداخل فيها الدلالة المعجمية مع الإيحاءات السياقية؛ لتنتج خطاباً شعرياً متفرداً يحمل صفة وبصمة لصاحبه. ومن هنا، فإن دراسة المعجم الشعري في كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب تمثل مدخلاً مهماً لفهم الخصوصية الأسلوبية التي امتاز بها الكتاب وخاصة وهو يمثل السيرة والمذكرات الشخصية للشاعر والألفاظ التي شكلت عالمه الشعري، وما هي أهم الألفاظ والدلالات التي تكررت في النصوص [الشناك، 2022م، 290، 291].

إن تنوع أغراض الكتاب التي جاءت وصفًا لتضاريس الجبال والأراضي ولوصف الأشخاص ومدحهم وغيرها، أعطى تنوعًا في الألفاظ بين مجالات وجدانية وفكرية وفلسفية واجتماعية، إذ يتيح هذا التنوع قراءات متعددة ومن زوايا مختلفة، لذا جاء هذا البحث ليحلل المعجم الشعري بأربعة محاور رئيسة تمثل أبرز الحقول الدلالية التي برزت في الكتاب، وذلك برصد الألفاظ وتحليل دلالاتها المعجمية والسياقية، وبيان دورها في تشكيل اللغة الشعرية ومحاولة الكشف عن العلاقات بين الحقول الدلالية ومدى إسهامها في تشكيل وبناء الصورة الشعرية، ولا تقتصر على الإحصاء والتصنيف بل تمتد إلى الدراسة الفنية وربط الألفاظ والوظيفة الجمالية والفكرية في النصوص، على وفق ما يلي:

المطلب الأول معجم ألفاظ الهجاء:

يعد الهجاء غرضًا من أغراض الشعر العربي منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، وقد أطلق على بعض الشعراء في العصور المتوالية اصطلاح (الشعراء الهجائيين) لكثرة ما تناولوه من شعر الهجاء لظروف خاصة أحاطت بهم في مجتمعات دعته إلى هذا اللون من التعبير عما في نفوسهم وقد يلجأ الشاعر (الهجاء) إلى سلب المهجو ما يعتز به من الفضائل، أو رميه بما ينفر من الرذائل كقول الحطيئة في عصره يهجو الزبرقان بن بدر: [البصري، دت، 662]

"دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي"

جاء في نفاضة الجراب مساحة لافقة وواسعة للهجاء، وظف الشاعر ألفاظًا مباشرة وحادة وأحيانًا ألفاظًا مواربة للتعبير عن النقد والسخرية من الأشخاص أو منتقدًا لبعض الظواهر الاجتماعية والسياسية، فهي تعبيرات عن غضب ألم بالشاعر جراء أحداث ومواقف تعرض لها، وهذه الألفاظ ليست مجرد أدوات وكلمات فنية تحمل شحنة دلالية مقصودة، بل هي تكشف عن موقف فكري وأخلاقي من الواقع، وهذا ما سنوضحه في الأمثلة التالية:

1- جاء في الكتاب "وقد جرى ذكر علي بن كماشة من قواد الأندلس وقدم ذكره. وهو مشهور بالشؤم في حركاته، معروف بذلك وتوجه في خدمة السلطان إلى الأندلس فلم ينجح القصد فقلت: (من الطويل التام) [ابن الخطيب، دت، 361 - 362].

"كُما شَيْكُم من أَجله انكمش السعد إذا ما اطرَحتم شُؤمَه أنجزَ الوعدُ

وَمَنْ لَمْ يكن من قبل للسعدِ عنده مخيلة نُجج كيف تُرجى له بعدُ

وتصريفه المشؤوم فلتتذكروا وما قلت إلا بالذي عَلِمْتُ سَعْدُ"

جاء الكتاب كما أسلفنا في التمهيد أن من ميزاته هو استشهاده بالأبيات الشعرية لما يذكره نثرًا ففي التحليل اللغوي والدلالي لألفاظ الهجاء، وفي هذه الأبيات يوجه الشاعر هجاء صريحًا إلى القائد علي بن كماشة المعروف _ كما يذكر في النص النثري _ بسوء الطالع وفشل المساعي، إذ ربط شخص الممدوح بالسوء والنحس، واعتمد على استعمال ألفاظ معجم هجائي يقوم على ألفاظ وتراكيب تحمل دلالات التشاؤم والفشل، ولا يوجد له شيء يرجى من ملامح إيجابية تبعد عنه هذه النظرة ومن هذه الألفاظ: (انكمش السعد)، فهنا الفعل انكمش يوحي بالانقباض والانزواء والتقلص، وجاء استعارة لتصور الحظ السعيد ككائن حي، وانقباضه وانزواؤه بوجود هذا الشخص، فهو سبب انحسار الخير أما قوله الشؤم، والشؤم نحس، كآبة وانقباض [عمر، دت، 976/2]، وهي من الألفاظ الثقيلة في الذم، إذ تنسب إلى الشخص أثرًا سلبيًا ملازمًا له، وهنا ربط الشاعر بين التخلص من الشؤم وتحقيق الوعد، إشارة إلى وجود عائق أمام النجاح والتكرار للمفردة لتعميق الأثر الهجائي وتأكيد الرسالة، وجاء في البيت الثاني أن النجاح بعيد عن الواقع وهو في مخيلته فقط فجاء بصيغة النفي (لم يكن) تحمل العجز النبوي عن النجاح وأن الفشل جزء من طبيعته، أما الجانب البلاغي والفني فتبرز المفارقة بين السعد والشؤم فالشاعر يبني هجاءه على التضاد بين مفردات السعادة والنحس وتكثيف المعنى

يخلق توترًا دلاليًا يعزز المعنى والتكرار للمفردة يرسخ الصورة السلبية في ذهن المتلقي. استعماله للأفعال (انكمش، اطرحتم، أنجز، نجح، تُرجى) يبرز التصوير الحركي ويعطي النص ديناميكية، ويجعل أثر الشخص على الأحداث ملموسًا ومتحركًا، ويثبت على قوله تشهده بقوله (بالذي علمت سعد) ويوظف الشاعر الاسم لإعطاء طابع موثق ومعروف وينأى بنفسه عن الانفعال المباشر أو الشخصي. اختيار الشاعر لألفاظ المعجم الهجائي، إذ اختار الألفاظ بعناية لتكون مشحونة بدلالات الفشل والنحس الدائم المستمر في الماضي والحاضر، وباعتماد أدوات بلاغية من مثل التضاد والتكرار والصورة الحركية لجعل الهجاء أكثر حدة وإقناعًا، مع الإبقاء على البعد الفني والجمالي.

2- مع استمرار الشاعر في منهجيته الوصفية نثرًا وشعرًا قوله : (مجزوء الرمل) [ابن الخطيب، دت، 362].

"قيل لي ماتت فراشة من بخار ابن كماشه

أحرزت أجر شهيد ناله الطعن وناشه

رحمة الله ورضوا ن على تلك الفراشة"

تعد الطرافة اللغوية والسخرية المبطنة من ألفاظ معجم الهجاء والتي مزج بينهما الشاعر في هذه الأبيات، إذ يختار الشاعر استعمال وإطلاق مخيلته في تصوير حادثة مبالغ بها، من مثل موت الفراشة من بخار (ابن كماشه) ويجعلها شهيدة ويعدها رمزًا لشدة أذاه وسوء أثره فلم تسلم منه هذه المخلوقة والتي هي علامة من علامات الجمال، وجعلها كائنًا حيًا استشهد في معركة مع ظالم استعمل في حربه معها أقل أداة حرب لديه وهي البخار مما يضخم صورة الضرر ويجعله مثيرًا للسخرية، ولفظ البخار توحى بأنه ليس بخارًا عاديًا بل رمزًا لرائحة كريهة قاتلة، دلالاتها القذارة وتعطي انطباعًا سيئًا عن الشخص المهجو وتأكيد هذه الصفة بذكر اسمه وربط الضرر به شخصيًا وحده دون غيره، وقوله أحرزت أجر شهيد المفارقة هنا، كما ذكرنا سابقًا جعلها كائنًا حيًا استشهد بمعركة يضفي طابعًا تهكميًا وسخرية ويقلل من مكانته ومن شخصيته الظالمة التي طالت حتى أضعف الكائنات وطاب الرحمة والرضوان لها، ودخوله مع معركة عنيفة نالت منها بالطعن جراء البخار، مما يخلق مفارقة هزلية ويزيد من السخرية والاستهزاء بالقائد ابن كماشه.

في الجانب البلاغي والفني بروز المبالغة والغلو، فتصوير بخار إنسان ما وإن كان (كريبها) بأنه سلاح قاتل يخلف كما تخلف الأسلحة من الطعن وغيرها مبالغة مقصودة، وهي من سمات الهجاء الساخر والمبالغة في حرب القائد مع كائن ضعيف ورقيق مثل الفراشة يخلق صورة عدائية ووحشية للقائد، واستعماله التورية في لفظ (أجر شهيد) استعماله لهذا اللفظ المقدس والكبير والجاد في موضع تهكمي مع وزن المقطوعة (مجزوء الرمل) يمنح النص خفة موسيقية تتناسب مع الموقف التهكمي كأن الشاعر يروي نكتة مستهزئة من القائد، جاءت هذه الأبيات استصغارًا لمكانة المهجو (القائد) مبنية على تصوير أثره الضعيف وشره الذي لم يسلم منه حتى أرق الكائنات، مع توظيف المبالغة والمفارقة لخلق صورة ساخرة تجمع بين الطرافة والذم، وبين الضعف والظلم. الألفاظ المختارة (ماتت، بخار الطعن، ناشه) مشحونة بدلالات سلبية مغلفة بغلاف فكاهي يجعل الهجاء أكثر لذعًا وأطول أثرًا في ذهن المتلقي ساعده في ذلك وزن البحر، وتكرر ذلك الهجاء في موضع آخر مستعملًا كائنًا آخر وهو (الذباب) وذكر اسم الشخص صريحًا هجاءً له [ابن الخطيب، دت، 362].

3 – يقول أيضًا: (من المنسرح) [المصدر نفسه، دت، 111، 112].

"ومن أبو الفتح في الكلاب؟ وهل لجاهل في الأيام من خطر؟

قد ستر الدهر منك عورتَه وكان لليوم غير مُستَبر

حَانُوثُ بَرٍّ يَمْشِي عَلَى فَرَسٍ وَتَوَرُّ عُرْسٍ يَخْتَالُ فِي حَبَرٍ

لَا مَنَّةٌ تُقْتَنَى لِمُعْتَرِكٍ وَلَا لِسَانٌ يُبَيِّنُ عَنْ حَبَرٍ

وَلَا يَدٌ تَنْتَمِي إِلَى كَرَمٍ وَلَا صَفَاةٌ يُرِيحُ مِنْ كَدَرٍ

أَلْحَقَكَ اللَّهُ بِالْهَوَانِ وَلَا رَعَاكَ فِيمَنْ تَرَكْتَ مِنْ عُرَرٍ

مَا عُوقِبَ اللَّيْلُ بِالصَّبَاحِ وَمَا تَقَدَّمَ الْبَرْقُ عَارِضَ الْمَطَرِ

القصيدة مكونة من (39) بيتاً ابتدأها بالحكمة والموعظة قوله:

"كُنْ مِنْ صُرُوفِ الرَّدَى عَلَى حَذَرٍ لَا يَقْبَلُ الذَّهْرُ عَذَرَ مَعْتَذِرٍ"

فهو يأمر بالحذر لا أمراً حقيقياً بل كناسح، ثم ينتقل إلى الهجاء مباشرة متهماً الوزير بالغباء والجهل، والنقص، وإخراجه من صنف البشر وإحقاقه بصنف الحيوانات المذمومة (الكلاب)، وفي المقطوعة التي اخترناها يتساءل ابن الخطيب بسؤال استنكاري ساخر: ومن أبو الفتح في الكلاب؟ وهو تركيب هجائي شديد القسوة، إذ يُنزل المخاطب منزلة الحيوان الدنيء، حيث أسقط عنه كل قيمة إنسانية واجتماعية وسياسية، وتابع تساؤله: وهل لجاهل في الأنام من خطر؟ مؤكداً على جهله وسقوطه من أعين الناس إذ لا خطر يرتجى منه فلا تشفع له مكانته السياسية والاجتماعية في المجتمع، ويتابع الشاعر هجومه الهجائي في فضح عيوبه، فالزمن والمكانة هي التي سترت عيوبه في الماضي، ولكن اليوم تكشف الحقيقة ولم تعد مستورة، فاستخدام هذه الألفاظ (العورة، المستتر) والتي تحيل إلى الفضيحة والعار تبرز المعجم الشعري للهجاء. ويتبين من القصيدة التي قامت على الهجاء بشكل مباشر، مزجه بين التيارات المختلفة في الهجاء، فلم يدخر من معجمه الشعري من لفظ قبيح إلا وأطلقه على المخاطب، مقابح معنوية ومادية، وأكثر من الهجاء على طريقة ابن الرومي في الشتم والتحقير، جعل بها أبا الفتح أضحوكة بين الناس، وإن القارئ لهذه القصيدة تتكون لديه صورة عن أبي الفتح مفرزة ممن تكون أو تنطبق عليه الأوصاف [بسبح، 1994م، 63].

ويبين تلك الأوصاف في البيت (ولا يدُ تنتمي إلى كرم ولا صفاء يريح من كدر)، يرسخ صورة من جملة الصور وهي النقص الأخلاقي، فلا كرم ولا صفاء بل إنه غارق في الكدر والدناءة مصوراً المخاطب عاجز عن الكرم المادي والمعنوي.

ثم يستمر في آخر أبيات القصيدة بالقسم لتأكيد ما يدعيه من صفات هجائية لاذعة، ويختمها بالدعاء عليه الهجائي (الحقك الله بالهوان) و(لا رعاك)، استعملها لتحيل إلى المذلة والمهانة وتركه ذرية من العرر "والعرُّ، بالفتح الجرب، وبالضم، قروح بأعناق الفصائل [ابن منظور، 1414 هـ، 555/4]، فلم يدخر ابن الخطيب صورة ولا عيباً إلا ذكره فيه. وختم قصيدته بصورة بلاغية تُبرز تتابع لطبيعة الكون ولا نجد إنساناً يختلف في تلك الظاهرة الكونية، وكأن الشاعر ما مر ذكره من صفات وطباع هي متأصلة في المخاطب وطبيعية فيجعل حتمية تعاقب الليل والصباح، وتقدم البرق للمطر ليس بأمر عجيب أو غريب بل ظاهرة طبيعية فكذلك هجاؤه لأبي الفتح ما هو إلا بيان للناس عن حقيقته.

ولسان الدين لم يكن متفرداً بغرض الهجاء بل جاء استمراراً لمن سبقه وما يبرز للشاعر اتسام هجائه بالكلام الفاحش، والوصف اللاذع، وألفاظ غاية في الفحش والتنقص من أعدائه، ولم يأت بمعان جديدة بل كانت تقليدية وواضحة وذات معان سهلة، كسائر أشعار تلك الحقبة من الشعر الأندلسي.

المطلب الثاني: معجم ألفاظ الحزن:

يأتي الحزن بمعنى: الهم، والحزونة: الخشونة، والحزن ما غلظ من الأرض [الفيروزآبادي، 2005م، 1189]، قال الراغب: الحُزْن والحَزَن: خشونة في الأرض، وخشونة في النفس، لما يحصل فيه من الغم، ويضاده الفرح ولا اعتبار الخشونة بالغم، قيل خَشِنَتْ ب صدره: إذا حَزَنَتْه [الأصفهاني، 1412 هـ، 231].

ويتبين لنا أن الحزن يركز في معناه اللغوي على الهم والخشونة أو الشدة والغلظة في الأشياء، وهو ضد السرور والفرح.

أما اصطلاحاً فقال الجرجاني: "الحزن: عبارة عما يحصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي" [الجرجاني، 1983م، 86]، وقال السمعاني: "الحزن: ألم القلب بفراق المحبوب" [السمعاني، 1997م، 12/3].

ويتبين من المعنيين اللغوي والاصطلاحي وجود اتصال بينهما، فهما بمعنى الغم والهم الذي يصيب القلب الحاصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب أو امتناع عن شيء مرغوب، والسبب في حصول الخشونة والشدة والغلظة من جراء الهم والغم الذي أصاب القلب. وامتاز غرض الحزن في شعر ابن الخطيب بوصفه تجربة إنسانية وجدانية عميقة، تتجسد في ألفاظ مشبعة بالأسى والفقد والحنين، مفردات لا تنقل مجرد حالة شعورية بل تبني فضاءً لغوياً معبراً عن رؤياه للحياة والموت وأهم مرحلة من حياته والتي بسببها فقد حياته وهي الاغتراب، شكل ألفاظه توظيفاً يضيف على النص جواً عاطفياً، وتوازناً بين التعبير المباشر والإيحاء الرمزي.

لذا قدم ابن الخطيب لنا تصوراً في مدى تمازج الأشياء والتحامها لإيصال الصور العاطفية الواقعة في النفس "إن لغة الشعر لا تصور لنا أعراض الشيء في ذاته بل تصل الشيء _ في الأغلب _ بأعراض أخرى لأشياء مشابهة له، على نحو يجعل المتفرج يلج إطاراً من العلاقات، تلتقي فيها الأشياء التقاءً مفاجئاً، يفرض على الوعي إعادة النظر وإعادة التأمل المصاحبين لكل تحول سلوكي مترتب على التخيل" [عصفور، 1995م، 269].

وهذا ما سنوضحه في الأمثلة التالية:

1- يقول ابن الخطيب: (من البسيط المخبون) [ابن الخطيب، دت، 61]

"أَفَادَنِي زَمَنِي لُفْيَاكَ مُعْتَذِرَا عَمَّا جَاءَ فَلَا أَدْعُو عَلَى زَمَنِي

مَنْ بَعْدَ لُفْيَاكَ لَا أَسَى عَلَى وَطَرٍ مَهْمَا تَعَذَّرَ أَوْ أَبْكِي عَلَى وَطَنٍ

عَقَدْتُ صَفْقَةً وَدَيَّ فِيكَ رَابِحَةً إِنَّ حَلَّتِ الْحَالُ لَا تَخْشَى مِنَ الْغَبْنِ"

يظهر في الأبيات السابقة من القصيدة والمؤلفة من (17) بيتاً الحزن من طريق علاقة الشاعر بالزمن، الزمن الذي جنى عليه وأوقعه في البلاء، من غربة وافتقار للسلطة والمكانة الاجتماعية والسياسية أبان اغتصاب السلطان إسماعيل بن يوسف بن نصر لضياعه وأراضيه وداره في الأندلس في غرناطة [ابن الخطيب، دت، 60]، يُقدم له لقاء الحبيب كاعتذار لما مر به. تتجلى ألفاظ الحزن مثل: (زمني، جنه، معتذراً) إذ تحيل تلك الألفاظ إلى معجم الحزن والفقد وإلى التجربة الأليمة والخذلان، بالمقابل الزمن يخف حدة الحزن بالرضا عنه بقاء المحبوب فلا يدعو على الزمن على الرغم من جوره هذه الصورة التي تجمع بين الجناية والاعتذار تظهر مدى عمق الهم والغم والحزن الممزوج بالرضا.

والألفاظ في البيت الثاني (أسى، أبكي، وطن) ومن سياق وترتيب الصورة الشعرية من بعد اللقاء بالحبيب ينفي عنه الأسى والتعذر والبكاء على الوطن، فلقاء المحبوب يهون مصائباً أو يعادل فقدان الأرض والدار.

أما في البيت الثالث فهو يخفف من حدة الحزن عبر صورة تجارية متبادلة إيجابية رابحة، لكن خلف تلك الصورة يبقى الحزن حاضرًا في لفظ إن حالت الحال، الذي اشترط في ثبات الحال وإن احتمال رجوعه لحاله السابقة من ألم الفقد والضياع بتغير الظروف، المعجم الشعري للحزن يتبين من الإحساس بالقلق وعدم الاطمئنان، وإحساسه بالغبن والخسارة، ويمكن أن يكون الشاعر قد غلف شعوره بالحزن والفقد بالرضا للقاء الحبيب، للظهور أمام الناس بالقوة والتماسك كونه صاحب (الوزارتين) وما يتمتع به من مكانة اجتماعية وسياسية.

2- يقول في رثاء (المعتمد على الله أبي القاسم محمد بن عباد) (البسيط المقطوع) [المصدر نفسه، دبت، 57]

"قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ عَنْ طَوْعٍ بِأَغْمَاتٍ رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ أَوْلَى الْمُهْمَاتِ

لَمْ لَا أُرْزُوكَ يَا أُنْدَى الْمُلُوكِ يَدًا وَيَا سِرَاجَ اللَّيَالِي الْمُذْلَهْمَاتِ

وَأَنْتَ مَنْ لَوْ تَخَطَّى الدَّهْرُ مَصْرَعَهُ إِلَى حَيَاتِي أَجَادَتْ فِيهِ أُنْبِيَائِي

أَنَافَتْ قَبْرَكَ فِي هَضْبٍ يَمِيزُهُ فَتَنْتَمِيهِ حَفِيَّاتُ التَّحِيَّاتِ

كَرُمْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَاشْتَهَرْتَ عَلَا فَأَنْتَ سُلْطَانُ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ

مَا رِيءَ مِثْلَكَ فِي مَاضٍ وَمُعْتَقَدِي أَنْ لَا يُرَى الدَّهْرُ فِي حَالٍ وَفِي آتِي"

وأظهر الشاعر حزنه العميق في هذه المقطوعة في رثاء أمير من أمراء الأندلس، مبيّنًا علاقته بالمكان والزمان والشخص فلفظ، أغمات وقبرك، وأهمية زيارته إنها من أولى مهماته ؛ إذ جعل القصد الأول في الزيارة مما يعكس عمق الأسى الذي يجعل الرثاء واجبًا لا يؤجل وذكره لأغمات يرسخ صورة البعد والاعتراب، مما يضاعف الحزن والهم.

ويتابع بقوله لم لا أزرورك، يتجلى الحزن عبر المفارقة بين حياة الممدوح ومماته، فهو كان أندى الملوك وسراجًا يستضاء به في الليالي حالكة الظلام، يبين مكانة الممدوح لبيان ألم الفقد والهم والغم والحزن.

بعدها يلوم الشاعر الدهر في تصويره كفاعل قاسٍ تخطى الممدوح وأسقطه، لكنه يخلده ويبقيه حيًّا في أشعاره، ويبين لنا مكانته حتى وهو ميت في صورة القبر المرتفع في الهضبة التي تعطيها تميزًا، لكنه لا يلغي الحزن وألم الفقد بل يجعله مقصدًا للتحيات الحزينة، ويختتم مقطوعته في بيان كرم الممدوح حيا وميتًا، وفي الوقت نفسه يُبرز المفارقة بين الحياة والموت، ويجعله سلطانًا للأحياء والأموات، وتتجلى ألفاظ الحزن (القبر، أزرورك، مصرعه، قبرك، كرمت حيا وميتًا) هذه الألفاظ الحزينة عبّرت عن صدق المشاعر وحجم الفقد والحزن، إذ "إن الكلمة في الشعر ليست عنصرًا مستقل المعنى لكنها رمز تغدو به الكلمة علامة في القصيدة قد غادرت معناها قبل انتظامها في نسق بحيث يمنحها وجودها في نص أدبي ما إمكانية الانفتاح الدلالي ذلك أن من أهم ميزات العلامات اللغوية شعريتها في النص أن تغادر معناها الحقيقي الذي وضعت له لتعانق الإشارة إلى دلالات مفتوحة تباين معناها الأصل" [الخليل، 2008م، 292].

3- يقول أيضًا : (طويل المقبوض) [ابن الخطيب، دبت، 124، 125].

"فَأَهْ عَلَى نَفْسِي أَرَدَدَهَا أَسَى لَوْ خَطِ أَضَاعَتْ لَيْلَ فَوْدِي نُجُومُهُ

جَفَانِي دَهْرِي وَاسْتَهَانَ بِحُرْمَتِي فَدَهْرِي مَمْفُوتُ الدِّمَامِ دَمِيمُهُ

وَفَرَّقَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي فَأَنْكَأَهُ تَنْنَابُنِي وَغُمُومُهُ"

يُبرز لسان الدين بن الخطيب في هذه الأبيات حضوراً مكثفاً لمعجم ألفاظ الحزن، إذ تتداخل الألفاظ والتراكيب لتشكل صورة وجدانية عميقة عن تجربة الفقد والخذلان، ففي قوله "فأه على نفسي أُردها أسى..." يتجلى الحزن في صيغة التأوه (آه) وفي لفظ (أسى) التي تحيل إلى مقدار الألم الداخلي، كما أن صورة الشيب الذي أضاع الفودي تُجسد أثر الزمن على الروح والجسد معاً، فيغدو الليل استعارة عن الشيخوخة، والنجوم كناية عن بياض الشعر بمرارة العمر وانقضائه. يتبين لنا من هذا المزج ما بين الألفاظ المباشرة للحزن والصور البلاغية للرموز الزمنية لترسيخ صورة الحزن والأسى العميق الذي يلزم الشاعر.

ويتابع في قوله: جفاني دهري واستهان بحرمتي، يتحول الدهر إلى خصم مباشر، يجفو ويستهين ويصوره بألفاظ هجائية مثل (ممقوت، ذميم) لتعكس شعوره بالخذلان والحزن والمهانة، وتصوير الزمن لا كإطار محايد، بل فاعل سلبي يخاصمه ويهينه، ويضاعف عليه حرارة الأسى والحزن والهم.

وأضاف (وفرّق ما بيني وبين أحبتي...) يصل الحزن إلى ذروته ليبرز الشاعر الفراق القسري ما بينه وبين الأحبة واستعماله ألفاظاً صريحة فجاء اختياره لألفاظ (فرّق، أنكاد، غموم...) ليشكل لغة شعرية، ليتمكن من خلالها صياغة تراكيب متنوعة، إذ إنّ "معنى الشعر يعتمد على السياق: فالكلمة لا تحمل معها فقط معناها المعجمي بل هالة من المترادفات والمتجانسات والكلمات لا تكتفي بأن يكون لها معنى فقط بل تثير معاني الكلمات تتصل فيها بالصوت أو بالمعنى" [وليك ووآرن، دبت، 181].

بهذا التوظيف المكثف للألفاظ الدالة على الحزن، يقدم ابن الخطيب صورة شعرية متكاملة؛ إذ يتداخل الحقل الزمني (الدهر، الليل، الفود) مع الحقل النفسي (آه، أسى، غموم) والحقل الاجتماعي (فرّق بيني وبين أحبتي) لينتج نصّاً يعبر عن تجربة وجدانية شاملة، تجمع بين أثر الزمن على الروح والجسد ومرارة الخذلان، وفقد الأحبة، فبث ابن الخطيب من خلال تلك الألفاظ لواعج نفسه بلغته الأندلسية الرقيقة والراقية التي أسعفته بها مكانته السياسية والاجتماعية ليعيش المتلقي الإحساس الذي عاشه ابن الخطيب في تلك الرحلة والمرحلة من حياته.

المطلب الثالث: معجم ألفاظ المديح:

المدحُ: "قال الليث المدحُ: نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء" [الأزهري، 2001م، 251/4]، وقال ابن فارس: "أصل يدل على وصف محاسن بكلام جميل" [ابن فارس، 1979م، 308/5].

وهو أحد أغراض الشعر العربي القديم والحديث، حتى حاول ابن طباطبا أن يحصر أنواع المدح فوجد أن الشعراء قد التزموا بمواضع كثيرة "منها في الخلق: الجمال والبسطة، ومنها في الخلق السخاء والشجاعة، والحلم والحزم، والعزم، والوفاء، والعفاف، والبر، والعقل والأمانة والقناعة، والغيرة، والصدق، والصبر، والورع، والشكر، والمداراة، والعفو..." [ابن طباطبا، دبت، 170]، وعرفه الجرجاني بقوله: "هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصداً" [الجرجاني، 1983م، 207]، يتبين لنا أن المدح هو الوصف الجميل، ومنها عدُّ المآثر والمناقب، على العكس من الهجاء هو عدُّ المثالب، والوصف الجميل يقابله الذم [الكفوي، دبت، 857].

فالمديح له معنيان: أحدهما: عدُّ المآثر والمناقب، والآخر: الثناء بالوصف الجميل، ويقابلهما في الهجاء عدُّ المثالب، والذم، لذا المديح من الفنون الشعرية التي لقيت اهتماماً من قبل الشعراء والنقاد، وهو من الموضوعات التقليدية التي وجد الشاعر فيها غايته وطريقه المنشود في التغني بفضائل الممدوح الخلقية والإشادة بهم في توجيه حركة الشعر العربي، وإذا نظرنا إلى أغراض الشعر وتقسيماته، تلك التقسيمات التي ذكرها قدامة بن جعفر أن أغراض الشعر إلى ستة أغراض وهي "المديح والهجاء والمراثي والتشبيه

والوصف والنسيب" [ابن جعفر، 1302 هـ، 17]، يحضر المديح في شعر ابن الخطيب بوصفه خطاب إعلاء وتقدير، يختار فيه المؤلف ألفاظاً تحمل دلالات التعظيم والاحترام، سواء لقيم أم شخصيات أم مواقف، تكشف هذه الألفاظ عن منظومة القيم التي يثمنها الشاعر وعن البنية البلاغية التي يعتمد عليها في صياغة المديح ولدراسة المعجم تساعد على فهم البعد الإيجابي في اللغة الشعرية للنص، وكيفية توظيفه في بناء صور مثالية للممدوحين. هذا ما سنوضحه في الأمثلة التالية:

1- يقول في (عامر بن محمد بن علي الهنتاتي) (الطويل التام) [ابن الخطيب، دت، 44].

"تقول لي الأَطْعَانُ والشَّوْقُ في الحشا له الحُكْمُ يُمْضِي بَيْنَ نَاهٍ وَأَمْرٍ
إذا جَبَلَ التَّوْحِيدُ أَصْبَحْتَ فارِعًا فخيّم قَرِيرَ العينِ في دارِ عامرٍ
ورُرُ ثُرْبَةَ المعصومِ إنَّ مزارَها هو الحجُّ يُمْضِي نحوَهُ كلَّ ضامرٍ
سُتَلْقَى بمثوى عامرِ بنِ محمّدٍ تُغَوِّرُ الأمانِي منْ ثَنائِا البَشَائِرِ
وللّهِ ما تَبْلُوهُ منْ سَعْدٍ وَجْهَةٍ وللّهِ ما تَلْقَاهُ منْ يُمْنٍ طَائِرِ
وَتُسْتَعْمَلُ الأمثالُ في الدَّهْرِ مُنْكُمْ بخَيْرِ مَزُورٍ أو بأَعْبَطِ زَائِرِ"

يستهل ابن الخطيب كتابه في ذكر جبل هنتاتة رسماً خريطة صعوده، واصفاً له ولحدوده أولياء الدولة ومدحهم نثراً مبيهاً فضائلهم ومنابقيهم، وينتقل إلى نظم الأبيات السابقة، وفيه يظهر المديح من تصوير الشوق كقوة حاکمة، لها الأمر والنهي، مما يعكس عظمة الممدوح الذي يصبح مقصداً لا يقاوم.

ويتحلى المديح في تشبيه دار الممدوح بمكان الطمأنينة والراحة، إذ يجد الزائر قرة العين، واستعمل لفظ الجبل يحيل إلى حقيقة كون وصوله إلى الجبل الحقيقي هنتاتة وربطه مع الممدوح وتشبيه به تحيل إلى الثبات والرسوخ، ودار عامر التي أصبحت رمزاً للأمان والسكينة.

ويتابع في ذكر فضائل الممدوح برفع مقامه إلى مرتبة القداسة، إذ يجعل زيارته تشابه حج بيت الله الحرام مستعيناً ومستعيراً لألفاظ من القرآن الكريم، وهو أسمى مقصد رُوحِي للمسلمين، وتتحقق الأمانى والبشائر في مثوى الممدوح، وينتقل إلى تصوير الممدوح كمصدر للسعد واليمن حيث يقترن وجوده بالبركة والخير، ويختم مقطوعته بأنهم مضرب للأمثال في إكرام الزائر وإدخال الفرح والغبطة.

ويتجلى المعجم الشعري في الألفاظ (له الحكم، ناه، أمر، جبل التوحيد، قرير العين المعصوم، الحج، ضامر، تغور، البشائر، يمن طائر) وارتباطها ببيان قوة الممدوح وسلطته المعنوية على القلوب ويستمر بإطلاق الصفات التي تبرز الراحة والطمأنينة والأمان والسكينة، وإن زيارته بمثل زيارة البيت الحرام، ويعلل الدكتور أشرف محمود كثرة الشعر وخاصة المديح منه في بلاد الأندلس إلى رغبة في إشباع حاجات الشاعر النفسية، وخفض حدة التوتر لدى الشعراء [نجا، 2003م، 25].

2- ويستمر ببلاغته النثرية واصفاً أحوال أمراء الدولة ومعيشة شيوخ القبائل وأنواع المأكّل والشراب التي قدموها له، ومساجدها وماذنها، وزيارته إلى محل وفاة السلطان أمير المسلمين في قصيدة من (39) بيتاً شعرياً ومنها: (الكامل المقطوع) [ابن الخطيب، دت، 52، 54]

"يا حُسْنَهَا منْ أَرْبُعٍ وِدْيَارٍ أضْحَتْ لباغي الأَمْنِ دارَ قَرَارٍ
وجبالٍ عَزَّ لا تَذِلُّ أنوفُها إلا لعزّ الواجد القَهَّارِ"

وَمَقَرَّ تَوْحِيدٍ وَأَسَّ خِلَافَةً أَثَارُهَا تُنْبِي عَنْ الْأَخْبَارِ

وَهُوَ الَّذِي يَقْضِي الدِّيُونَ وَمِثْلُهُ يُرْضِيهِ فِي عِلِّيٍّ وَفِي إِسْرَارٍ

يستهل الشاعر قوله: يا حسنهما من أربع وديار... يتجلى المديح من خلال تصوير المكان كدار للأمن والقرار، أي أنه مقصد الباحثين عن الهدوء والأمن والاستقرار، ويبدو أن للمكان دوراً فعالاً في القصيدة الأندلسية، تلك الأماكن التي تسمح للشاعر أن يدخل إلى عالمه الشاسع الحافل بالذكريات والتمنيات فهو لا يسعى إلى ذكر المكان وتصويره وصفاته وحقائقه، بل يستدعيه لخلق فني جديد مسئلهما كل تفاصيل وإيماءات ذلك المكان وربطها بالمدح وما تفوح منه من دلالات تغني فكرة الشاعر وثقافته الشعرية [الجبوري، 2012م، 187].

ويتابع قوله واصفاً صورة الجبال والتي ترمز إلى القوة والرسوخ والعز، فهي عريضة لا تذلل إلا لعز الله تعالى القهار، ليقرن صورة سلطانه بالقوة والرسوخ وإن مات فسلطانه باقٍ عبر سجل الذكريات وثابت كثبات الجبال الرواسي.

ويربط فيما بعد بين السلطان والدين عبر قوله: ومقر توحيد وأس خلافة...، إذ يجعل المكان مقراً للتوحيد وأساساً للخلافة، فهو مركز الدين والسياسة في آن واحد، واستعمل ابن الخطيب أكثر ألفاظه ذات طابع ديني لإضفاء صفة حامّي الدين والمدافع عنه والضامن لوحدة الأمة بعد تمزقها وتفرقها إلى ولايات وإمارات، ليجعل منه رمزاً للشرعية الدينية والسياسية.

وفي أواخر أبيات القصيدة يتعنى في تصوير الممدوح بقضاء ديون الناس وحوائجهم في العلن والسر، أي أنه جامع بين العدل والكرم والمروءة ظاهراً وباطناً.

القصيدة غنية بألفاظ دينية وسياسية واجتماعية تبين وتبرز أهمية ودور الممدوح وإعطائه شرعية دينية وسياسية، منها القوة والرسوخ تقابلها الجبال، التوحيد والخلافة صفات دينية قضاء الديون والرضى منه صفات اجتماعية، وغيرها كثير التي أراد منها جعل وإخراجه للسلطان في صورة مثالية تجمع بين جميع صفات الحاكم العادل.

3- يقول لسان الدين بن الخطيب: "مادحاً العلامة الأمير الناجم الفقيه أبا سعيد ببن رشيد بما نصه من المنظوم والمنثور. (بحر

الوافر) [ابن الخطيب، دت، 352]

"إِذَا ذُكِرَ الْعَلَاءُ فَأَنْتَ أَعْلَى وَإِنْ ذُكِرَ السَّنَاءُ فَأَنْتَ أَسْنَى

مَحَاسِنُكَ اغْتَدَتْ جَنَاتٍ عَذْنٍ لِمَنْ يَرْتَادُ إِحْسَانًا وَحُسْنًا

هَزَرْتُ أَبَا سَعِيدٍ مِنْكَ دَوْحًا بِهِ مَا شِئْتُ مِنْ ظِلٍّ وَمَجْنَى

فَكُنْ حَيْثُ اقْتَصَاهُ بِكَ اعْتِدَادِي وَشِدْ لِي مِنْ كَرِيمِ الرَّغْيِ مَبْنَى

فَقَى الْفُتَيَّانِ أَنْتَ بَلَا نِزَاعٍ وَمِثْلِي مَنْ وَفَى بِيَدٍ وَأَنْتَى

في هذه القصيدة تمثل مديحاً مباشراً لشخصية رفيعة المقام، والتي ذكرها ابن الخطيب في بداية كلامه، ليحتفي فيها الشاعر بعلو قدر الممدوح وسمو صفاته، مستعملاً ألفاظاً ذات طابع تعظيمي وصوراً بلاغية غنية، قوله (إذا ذكر العلاء فأنت أعلى، وأن ذكر السناء فأنت أسنى) لفظ العلاء والسناء من ألفاظ الرفعة والشرف، مستعملاً صيغة التفضيل (أعلى، أسنى) لجعل الممدوح متفرداً بهاتين الصفتين وعلى قمة من اتصف بهما والتوازي في التركيب يعزز الإيقاع ويضاعف الأثر.

ويتابع مدحه في تشبيه محاسنه بجنات عدن فكأنما يربط إحسانه بنعيم دائم ومتكامل إذ لا نقصان ولا حرمان من أي شيء يتمناه المرء، وهي من الصور الجميلة التي تعطي انطباعاً للمتلقى بالأمن، وجمع الشاعر بين الإحسان الأخلاقي والحسن الخلفي فهو إحسان متكامل.

وقوله (الدوح) ومعناه "الشجر العظيم" [الأزهري، 2001م، 124/5]، هزرت دوحاً استعارة عن إحياء أو إنعاش للقيم والمكارم والدوح يرمز للثبات والعطاء، إضافة إلى عطايك من الظل والثمر ربطاً مع فائدة الشجر العظيم، وينتقل بعدها إلى مكانته الاجتماعية بقوله (كريم الرعي) إشارة إلى حسن الرعاية والقيادة مما يعكس البعد الاجتماعي والسياسي، ويستمر في إطلاق الألفاظ التي تجعل من الممدوح مثلاً جامعاً للفروسية والشجاعة والشهامة بقوله (فتى الفتيان)، ثم يبين علاقة الشاعر بالممدوح من خلال وفائه ورد الجميل لقوله: (ومثلي من وفى بيد وأثنى) لإضفاء الصدق العاطفي في كل ما قاله بحقه، وبهذا فالمديح "وعاء يصب فيه الشاعر خلجاته، ونوازعه الذاتية والجماعية، على وفق ما يتطلبه الموقف الآلي بما يمليه على الشعراء الأنموذج الأفضل الذي يستحق المدح والثناء والحمد لعظيم فعاله، وبما يستوجب استدرار الشاعر لمملكته وإبداعه للتصرف في تقريب العلاقات وإدامة الصلة، وتعميق صفة الوفاء والولاء، مقترناً بالفخر بالرغم من أن أغلبه لغايات إنسانية نبيلة" [إبراهيم، 2000م، 82].

وابن الخطيب لجأ إلى هذا الغرض في الكثير من أشعاره التي أوردها في الكتاب وذلك لصدق المشاعر كون تلك المرحلة تمثلت بأزمات وانتكاسات وخيانات له وللأمراء والسلاطين الذين كان وزيراً في بلاطهم، ويلحظ تركيزه على المعاني الدينية والمواقف الإسلامية في كثير من قصائد المدح لإعطاء صبغة شرعية دينية مستوحاة من القرآن والشرعية الإسلامية.

المطلب الرابع : معجم ألفاظ الحب:

يُعد غرض فن الغزل "رفيق لئين، طريف يصور عاطفة اجتماعية طبيعية تنحل إلى شعور بالنقص ورغبة في إكماله، والتلطف في ذلك إلى أبعد غاية. لذلك كان الشاعر فيه ذليلاً إذا طلب، شاكياً إذا حرم، ثابتاً لا ييأس مأخوذاً بمن هوى يكاد يفنى فيه، والشاعر إما أن يصف المرأة وما يتعلق بها معجباً متشبعاً وإما أن يصف نفسه شاكياً حرقاً الجوى" [الشايب، 1990م، 83]، لذا نظم الشعراء الكثير من قصائدهم للغزل، ونجد أن الكثير منهم وخاصة القديم منهم يلتزم بجعله مقدمة لقصائدهم، وأرجع ابن قتيبة ذلك "أن مقصد القصيد، إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق... ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد، وألم الفراق، وفرط الصبابة، والشوق ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه؛ لأن التشبيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء" [الدينوري، 1423 هـ، 75/1]. وتميز الكتاب بوجود عدد قليل في الغزل، الذي يعد مذكرات عن المؤلف ورحلته والفترة التي كان منفياً، إذ أكثر حوادث الكتاب كانت تاريخية واجتماعية وأدبية [ابن الخطيب، دت، 4]، نظم فيها الأغراض التي ذكرتها سابقاً، ومن خلال دراستي للكتاب سنعرض ما كتب فيه عن الغزل والنسيب منها:

1- يقول : "وقلت في أسلوب التغزل، وما أبعد عني في الوقت والحمد لله (الخفيف التام) [ابن الخطيب، دت، 130].

"أَصْبَحَ الْخُدُّ مَثَلُ جَنَّةٍ عَدْنٍ مُجْتَلَى أَعْيُنٍ وَشَمِّ أَنْوَفٍ

ظَلَّلَتْهَا مِنَ الْجُفُونِ سُيُوفٌ جَنَّةُ الْخُلْدِ تَحْتَ ظِلِّ السَّيُوفِ"

في البيتين يتجلى معجم الحب من خلال إبرازه للألفاظ والتي تبين قيمة المحبوب، إذ جمع فيهما المرئي منه وهو الخد والمشموم وهو الأنف، واصفاً ما يبرز من المستحسن في الوجه لتكشف حالة الحب والغرام، حيث تجلى الأعين للناظر لخد المحبوبة وشبهها بجنة عدن لبعث السرور، ولمن يشم فكمالها ككمال الجنة، واستعار للعيون ذكر لازمة من لوازمها الجفن وتشبيهاها بالسيف لحدتها، وتحت جمال العيون أمانيه بجنة الخلد، جعل كل ما وصف كناية عن حسن وجمال الوجه، نجد أن المعاني والرموز الدينية تغطي

على الكثير من القصائد، حيث "أنس لسان الدين لسان الدين بعالم الروح حتى صار النزوع الروحي طابع أدبه العميق، بحيث تجلى في سائر أغراض شعره، ولم يقتصر على الشعر الصوفي المحض، وأدب لسان الدين هو مجلى روحه كما هو مجلى فكره، ولذا فقد حفل بالرؤى الدينية التي كانت تلوح عبر أزمته النفسية، ويكنا أن نجد في شعره كل ما كانت تجيش به نفسه من هموم دينية ونزعات صوفية" [قصبجي، دت، 231].

2- يقول لسان الدين: وقلت أيضاً: (السريع) [ابن الخطيب، دت، 130].

"يا مَنْ بأَكْغافِ فُؤادي رُبَّ قَدْ ضاقَ بي في حُبِّكَ المُتَّسَعِ

ما فيكَ لي جَدوى ولا أَرْعوى شُخْ مُطاعٌ وهوى مُتَّبِعٌ"

أورد لسان الدين هذين البيتين مباشرة بعد قوله في الغزل ويمكن أن نلمس صياغته الشعرية في الألفاظ الواردة (فؤادي، ضاق، حبك، ارعوى، شخ، وهوى) إذ تمكن من خلالها أن يوحي بتجربته العاطفية، ويتبين لنا "أن العاطفة هي التي تبرز في الشعر الأندلسي تكاد تكون أبرز عناصره، وتغلب على باقي الأمور الأخرى...، فهي تلك القوة التي يثيرها الأديب فينا نحن القراء" [علي، 2024م، 116]، ويرسخ ابن الخطيب صورة الحب والمحبيب الذي شغل قلبه حتى ناده لتعظيمه كأنه موجود ويخاطبه لخلق حوار درامي، قد أقام المحبوب وتربع واستوطن في القلب وكأنه فضاء مكاني، ونجد التضاد البلاغي في ضاق ومتسع، فالانتساع يضيق بالشاعر من فرط الحب، ويتجلى التفكير العقلاني في لفظ جدوى للدلالة على عدم النفع والفائدة، لكنه لا يتراجع ولا يكف عن حبه، ومع الشخ والبخل الذي يلقاه لكنه مطاع، لهوى اتبعه، ومن خلال البيتين حاول أن يوصل حقيقة إحساسه في غرض الحب، ولم أجد في المصادر والمراجع لاسم أو من تكون المقصودة من تلك الأبيات.

3- ورد في الكتاب: "ومن المقطوعات في النسيب": (الكامل المقطوع) [ابن الخطيب، دت، 166]

"أرسلتُ عيني في حلاك بنظرة هي كانت السبب القريب لما بي

وأراك بالعبرات قد عاقبتها ليس الرسول بموضع لعقاب"

في قوله (أرسلت عيني في حلاك بنظرة) يتجلى لفظ الفعل إحياء للتخيير والتمكن، وكان عينه هي خارج عن إرادته وهي مرسل مستقل وفد إليه متعمداً، والسبب هو الحلا فقد فُتنَ بجمالها، وكان من نتيجة الفعل والسبب في ما حل به، ليبرر نزعاته النفسية، فالعين هي السبب المباشر بما أصابه من عارض الحب، إن تأثير البيئة الأندلسية المعروفة برياضها وجمال طبيعتها جعلت من الشاعر يتصابى في طلب المودة، وصدق العاطفة، فلم يذكر محبوبته بأوصاف حسية بل استعمل معجمه الديني في خدمة شعره، ليستجدي عطف المحبوب له بعد نفسي، ويذكر قدامة "أن الغزل إذا كان متشكلاً بالصورة التي تليق بالنساء وتجانس موافقاتهن...، والذي يميلهن إليه هو الشوائب الحلوة، والمعاطف الظرفية، والحركات اللطيفة والكلام المستعذب، والمزاح المستغرب" [ابن جعفر، 1302 هـ، 42، 43].

ويتابع تجليات الحب إذ يعاقبه المحبوب بالعبرة والدموع. فتصعب العين التي رآته والتي كانت السبب بأن عاقبها لتكون معاقبة ومعاقبة، ليعمق لذة الحب وألمه، ويؤكد ذلك بقوله (ليس الرسول بموضع لعقاب)، يعلل ويبين بأن الرسول ليس له من عمله إلا تبليغ الرسالة فلا ذنب له لينتقل إلى الفاع عن العين التي هي واسطة للفعل لا فاعلاً أصيلاً، يتجلى بذلك الصراع الداخلي في بيان السبب والنتيجة وبيان الدفاع وتبرئة الذات، ونلاحظ في أكثر المقطوعات استعماله للمعجم ذات الطابع الديني كما ورد في الأمثلة السابقة.

الخاتمة: بعد أن دراستي هذا الموضوع توصلت إلى نتائج عدّة، أهمّها:

- 1- شكل الكتاب مزيجاً ما بين النثر والشعر والتنقل السلس ما بينهما .
- 2- الانسجام بين الأسلوبين دون الإحساس بالانفصال أو التنافر.
- 3- اعتمد الألفاظ التي جاءت بوصف التفاصيل والمشاهد والوقائع.
- 4- عبر في ألفاظه عن عمق المشاعر الصادقة والانفعالات.
- 5- انعكست البيئة الأندلسية على شعره وتأثر بها.
- 6- تميز شعره بمزيج يجمع بين الرصانة الشعرية العربية والإبداع الأندلسي.
- 7- استفاد من خلفيته الإسلامية في إدراج الألفاظ والصور الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) إبراهيم، الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، صاحب خليل إبراهيم، اتحاد الكتاب العرب، 2000م.
- (2) ابن جعفر، نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت 337 هـ)، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط1، 1302هـ.
- (3) ابن الخطيب، ثفاضة الجراب في غلالة الاغتراب، لسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، (د.ت).
- (4) ابن طباطبا، عيار الشعر، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، العلوي الحسني، أبو الحسن (ت 322 هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- (5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت 395 هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
- (6) ابن منظور، لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت 711 هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- (7) الأزهرى، تهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي أبو منصور (ت 370 هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- (8) إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب، ط4.
- (9) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502 هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.
- (10) بسبح، لسان الدين بن الخطيب عصره، بيئته، حياته وآثاره، أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م.
- (11) البصري، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، عويسيان التميمي البصري، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر.
- (12) الجبوري، المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين الموحدين، جمعة حسين يوسف الجبوري، دار صفاء مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان، 2012م.
- (13) الجرجاني، التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816 هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.

14) الخليل، علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي (مقاربات نقدية)، سمير الخليل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2008م.

15) الدّينوريّ، الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، دار الحديث، القاهرة، 1423 هـ.

16) السّمعانيّ، تفسير القرآن، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المرزوي السمعانيّ (ت 489 هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض السعودية، ط1، 1997م.

17) الشّائك، قصائد لسان الدين بن الخطيب تجربة إنسانية وحقائق تاريخية: كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب نموذجًا، رشيدة الشائك، منشور في مجلّة عصور الجديدة من متطلبات رسالة ماجستير في كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية جامعة وهران، الجزائر، مج 12، ع2022، 1 م.

<https://asjp.cerist.dz/en/article/191785>

18) الشّايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1990م.

19) عصفور، مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م، ط 5.

20) عليّ، التركيز العاطفي والتجويد الفني في الأدب الأندلسي، م. م. يسرى سعد عليّ، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، المجلد 16، العدد 2، 2024م.

<https://doi.org/3380/lark.10.31185>

21) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر (ت 1424 هـ)، عالم الكتب، ط1.

22) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مجد الدّين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817 هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 2005م.

23) قصبجي، لسان الدين بن الخطيب، حياته وشعره وفكره، عصام قصبجي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية.

24) القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي بن رشيّق القيرواني الأزدي (ت 463هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، لبنان، ط5، 1981 م.

25) الكفويّ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (ت 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

26) نجا، قصيدة المديح في الأندلس، عصر الطوائف، أشرف محمود نجا، كلية التربية، جامعة عين شمس، ط1، 2003م.

27) وليك ووآرن، نظرية الأدب، رينيه وليك وأوستن وآرن، ترجمة محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

Sources and References:

- 1) Ibrahim, The Auditory Image in Pre-Islamic Arabic Poetry, edited by Khalil Ibrahim, Arab Writers Union, .2000
- 2) Ibn Ja'far, The Critique of Poetry, Qudama ibn Ja'far ibn Qudama ibn Ziyad al-Baghdadi (d. 337AH), al-Jawa'ib Press, Constantinople, 1st edition, 1302AH.

- 3) Ibn al-Khatib, *The Essence of the Bag in the Pains of Alienation*, Lisan al-Din ibn al-Khatib (d. 776 AH), edited by Dr. Ahmad Mukhtar al-Abadi, Moroccan Publishing House, Casablanca, (n.d.).
- 4) Ibn Tabataba, *The Standard of Poetry*, Muhammad ibn Ahmad ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Ibrahim Tabataba, al-Alawi al-Hasani, Abu al-Hasan (d. 322AH), edited by Abdul Aziz ibn Nasir al-Mani', al-Khanji Library, Cairo.
- 5) Ibn Faris, *Mu'jam Maqayis al-Lughah*, Ahmad ibn Faris ibn Zakariya al-Qazwini (d. 395AH), edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, 1979CE.
- 6) Ibn Manzur, *Lisan al-Arab*, Muhammad ibn Mukarram ibn Manzur al-Ifriqi (d. 711AH), Dar Sader, Beirut, 3rd edition, 1414AH.
- 7) Al-Azhari, *Tahdhib al-Lughah*, Muhammad ibn Ahmad ibn al-Azhari al-Harawi Abu Mansur (d. 370 AH), edited by Muhammad Awad Mur'ab, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, 1st edition, 2001CE.
- 8) Isma'il, *Al-Tafsir al-Nafsi lil-Adab*, Izz al-Din Isma'il, Maktabat Gharib, 4th edition.
- 9) Al-Isfahani, *Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an* (Vocabulary of the Strange Words of the Qur'an), by Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad, known as al-Raghib al-Isfahani (d. 502AH), edited by Safwan Adnan al-Dawudi, Dar al-Qalam, Dar al-Shamiyya, Damascus-Beirut, 1st edition, 1412AH.
- 10) Basbah, *Lisan al-Din ibn al-Khatib: His Era, Environment, Life, and Works*, by Ahmad Hasan Basbah, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st edition, 1994CE.
- 11) Al-Basri, *Mawsu'at al-Mafahim al-Islamiyya al-'Amma* (Encyclopedia of General Islamic Concepts), by 'Uwaysiyan al-Tamimi al-Basri, Supreme Council for Islamic Affairs, Egypt.
- 12) Al-Jaburi, *Al-Madamin al-Turathiyya fi al-Shi'r al-Andalusi fi 'Ahd al-Murabitin al-Muwahhidin* (Heritage Themes in Andalusian Poetry during the Almoravid-Almohad Era), by Juma'a Husayn Yusuf al-Jaburi, Dar Safa', Dar al-Sadiq Cultural Foundation, Amman, 2012CE.
- 13) Al-Jurjani, *Definitions*, by Ali ibn Muhammad ibn Ali al-Zayn al-Sharif al-Jurjani (d. 816AH), edited and corrected by a group of scholars under the supervision of the publisher, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st edition, 1983CE.
- 14) Al-Khalil, *Relations of Presence and Absence in the Poetics of the Literary Text (Critical Approaches)*, by Samir al-Khalil, Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya al-'Amma, Baghdad, 1st edition, 2008 CE.
- 15) Al-Dinawari, *Poetry and Poets*, by Abu Muhammad Abdullah ibn Muslim ibn Qutayba al-Dinawari (d. 276AH), Dar al-Hadith, Cairo, 1423AH.
- 16) Al-Sam'ani, *Interpretation of the Qur'an*, by Mansur ibn Muhammad ibn Abd al-Jabbar ibn Ahmad al-Marwazi al-Sam'ani (d. 489AH), edited by Yasser ibn Ibrahim and Ghunaim ibn Abbas ibn Ghunaim, Dar al-Watan, Riyadh, Saudi Arabia, 1st edition, 1997CE.

- 17) Al-Shaik, "The Poems of Ibn al-Khatib: A Human Experience and Historical Facts: The Book 'Nafadat al-Jirāb fī 'Alālat al-Ightirab' as a Model," by Rashida al-Shaik, published in the journal 'Usur al-Jadida, as part of the requirements for a Master's thesis at the Faculty of Humanities and Islamic Sciences, University of Oran, Algeria, Vol. 12, No. 1, .2022
<https://asjp.cerist.dz/en/article/191785>
- 18) Al-Shaib, "Style: A Rhetorical and Analytical Study of the Origins of Literary Styles," by Ahmad al-Shaib, Egyptian Renaissance Library, Cairo, 8th ed., .1990
- 19) Asfour, "The Concept of Poetry: A Study in Critical Heritage," by Jaber Asfour, Egyptian General Book Organization, 5th ed., .1995
- 20) Ali, "Emotional Focus and Artistic Refinement in Andalusian Literature," by M. M. Yusri Saad Ali, Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences, Vol. 16, No. 2, .2024
<https://doi.org/10.31185/lark.3380>
- 21) Omar, "Dictionary of Contemporary Arabic," by Ahmad Mukhtar Omar (d. 1424AH), Alam al-Kutub, 1st ed.
- 22) Al-Fayruzabadi, Al-Qamus al-Muhit, Majd al-Din Abu Tahir Muhammad ibn Ya'qub al-Fayruzabadi (d. 817AH), edited by the Heritage Research Office at Al-Risalah Foundation, supervised by Muhammad Na'im al-'Arqasusi, Al-Risalah Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 8th edition, 2005CE.
- 23) Qasabji, Lisan al-Din ibn al-Khatib: His Life, Poetry, and Thought, by 'Isam Qasabji, Directorate of University Books and Publications.
- 24) Al-Qayrawani, Al-'Umdah fī Mahasin al-Shi'r wa Adabih, Abu 'Ali ibn Rashiqa al-Qayrawani al-Azdi (d. 463AH), edited by Muhammad Muhyi al-Din 'Abd al-Hamid, Dar al-Jabal, Lebanon, 5th edition, 1981CE.
- 25) Al-Kafawi, Al-Kulliyat: A Dictionary of Terms and Linguistic Differences, by Ayyub ibn Musa al-Husayni al-Kafawi (d. 1094AH), edited by 'Adnan Darwish Muhammad al-Masri, Al-Risalah Foundation, Beirut.
- 26) Naja, Panegyric Poetry in Andalusia, The Taifa Period, Ashraf Mahmoud Naja, Faculty of Education, Ain Shams University, 1st edition, .2003
- 27) Waleck and Warren, Literary Theory, René Waleck and Austin Warren, translated by Muhyiddin Subhi, Arab Institute for Studies and Publishing.